اللّغة العربية والعولمة

الأستاذ الدكتور صالح بلعيد

عضو المجلس الأعلى للغة العربية

المنارة للاستشارات

مقدمة: سأتحدث في هذا الموضوع عن اللّغة العربية والعولمة من منظور التحدّيات الكبرى ى التي تفرضها اللّغة الإنجليزية على كل لغات العالم، وهو واقع الأنجلزة الذي فرضته المضايقات التقنية العصرية م موقع التحكّم في أعلى التكنولوجيات التي تتوافر وتتحكّم فيها اللّغة الإنجليزية بجدارة، أكثر من اللغات الأخرى، إلى جانب عوامل اقتصادية، وهن الدعامة الأساس للهيمنة وفرض المعيار الخاص لإنجليزية هذا الواقع رهين العولمة بمعناها العام والتي لا مناص منها كون العالم اليوم يعيش في الخيمة المعلوماتية فهو يتأثر أخذا وعطاءً ويبقى التأثير يحصل عن طريق التدخل اللغوي في الغالب (اتجاه أحادي) وليس عن طريق التداخل اللغوي الذي يحصل في الغالب من لغة أقوى إلى الأضعف، ويكون العكس أحياناً وبناءً على ذلك رأيت مقاربة الموضوع كما يلي:

1 . حاضر اللّغة العربية.
2 . العولمة والهيمنة اللغوية.
3 . اللّغة العربية والحداثة.
4 . أي موقع للغة العربية في هذه العولمة؟

تِلْكُم في الحقيقة إشكاليات جوهرية من هذا الموضوع، ويراد منها التفعيل في هذه المرحلة كي لا تهتزّ شخصيتنا، ولكي لا نذوب وننقرض إلى إطار مّد العولمة المتلاحق وإنّ لغات العالم كلها مهدّدة بالضياع أو التدهور نتيجة للإهمال وللتأثيرات التي تفرضها لغة العالم كلها مهدّدة بالضياع أو التدهور نتيجة للإهمال وللتأثيرات التي تفرضها لغة تكنولوجيا الاتّصال الحديثة التي

المنارة للاستشارات

يعتمد معظمها غلى اللّغة الإنجليزية فهل تنّبهت اليونسكو لهذا الخطر؟ وماذا قدّمت الألكسو لصون اللّغة العربية، وهل أعدّت الأسيسكو برنامج حماية الهوية والثقافة الإسلامية؟

وأما العولمة اللغوية الحالية، وواقعنا المزري، وجب علينا تفعيل اللّغة العربية كما فُعِّلت سابقاً، وإبراز صورتها الحقيقية ودورها الحالي في منظومة الاتصّال الكوني، على أنّها اللسان العربية المبين الذي له من القدّم ما ليس لأية لغة مثيل، وعلى أنّها وسيلة اتّصال أدبية وعلمية تتفعّل حسب مقتضيات الحال.

1 . حاضر اللّغة العربية:

إنّ الحديث عن حاضر اللّغة العربية يدمي القلب، من منظور تشخيص واقع اللّغة العربية التي أضحت عالة اقتصادياً على اللغات التي لا ماضي لها ولا تاريخ، وهي لغات حديثة وهجينة تكوّنت في عصر السرعة، ونالت المكانة العلمية التي أهلّتها لذلك، بفضل الفكر العلمي والرياضي الذي سيطر على نُخبها وعلى مفكريها، وبالتطبيقات التقنية التي مسّت منظومتها الفكرية ولنعلم أنّ الصناعة الأمريكية ارتكزت على دعائم الفكر العلمي والثقافي أولاً، ثمّ لحقت عوامل أخرى، كما أنّ التطوّر الآسيوي اعتمد مبدأ الأخذ من العلوم (النقل) والخروج بنظرية خاصة وهكذا كانت الثقافة عند كثير من الأمم، وكان في كل ذلك دعوة إلى الإصلاح التربوي الذي هو أول مبادئ التقدّم عندها، والإصلاح التربوي يعني الإصلاح التربوي الذي هو أول مبادئ التقدّم عندها، والإصلاح التربوي يعني الإصلاح اللغوي الذي تنشده المعرفة العلمية في وقتنا الحالي "وها هو ذا كونفوشيوس حكيم الصين العظيم يسشيره الإمبراطور حول السبيل الأقوم إلى إصلاح الإمراطورية فيقول له: ابدأ باللّغة، ولم يقل له ابدأ

المنارة للاستشارات

بالاقتصاد"[1]والبدء باللّغة يعني التمسّك بها أصالة وتحديثاً؛ حيث الأصالة لا تعني الانغلاق والانقطاع عن العالم، بل تعني المعرفة العلمية التي هي إدراك الأشياء وتصوّرها كماً ونوعاً واستخلاص موجباتها وتحسين نقائصها أو ستئصالها وحيث التحديث الذي هو خوض معركة العصر بكل تجلياتها المعرفية فكراً وإنتاجاً وهذه هي المعرفة العلمية الداعية للتطوّر حسب مقتضيات العصر، كما أنّها مطلب غزيري عند البشر ناشدها في كل المراحل والأطوار وهل كان سلفنا كذلك؟

وإذا عدنا إلى ماضي اللّغة العربية التي سجّلت المجد التليد، نجده غنياً ومنتجاً، وكان له الحظوة في كل إبداع ، وهذا لا يعني العيش في كنف (كان أبي) وهو ما أمقته، بل إنّ العودة إليه تعني استكناه تاريخنا علّه يكون المهتدى للتفعيل في عصرنا كما فعّل أولونا كما أنّ التاريخ عامة كان سجلاً لجملة المعارف التي يقصد بها الكشف عن الجيّد منها وتحسينه، وعن الرديء لاجتنابه وكان التاريخ العربي الإسلامي حافلاً بالإبداع، وهذا كلّه يؤدي بنا غلى أخذ العبرة من أنّ ماضي اللّغة العربية كان حياً وحاضراً ومنتجاً وهذا الماضي كان يرتكز على عبقرية اللّغة العربية في لسانها وتطبيقاتها التي استوعبت أدقّ العلوم التقنية، والدليل ما أنتجه ابن الهيثم وابن حيان وابن سينا والرازي، وإنّ الشهادة الدامغة حول ذلك العصر يؤخذ من علماء غير عرب؛ فهذه العلمة زيغريد هونكه في كتابها (شمي العرب تسطع على الغرب) تقرّ بعظمة العلوم العربية وتأثيرها على الغرب وقال Alvaro يومها: لقد أصبح شبابنا لا يعرفون من اللّغة اللاتينية شيئاً وهم عاجزون عن قراءة صفحة واحدة من الكتاب المقدّس ويتباهون بكتب العرب يحملونها تحت إبطهم ويتكلّمون بها

[1]-مصطفى سليمان "اللغة والهوية" مجلة الهوية الكويت: السنة السادسة عشرة، ص 15.

المنارة للاستشارات

في الأسواق وكان في ذلك الوقت أنّ المثقف العالمي هو من يجيد اللّغة العربية، ومن هناك أحرف الأسبان كل الكتب العربية في الساحات العمومية ولكن ذلك زمان قد ولّى فما حال اللّغة العربية الآن وماذا قدّمنا تجاه الأمة العربية التي تنظر بعين التقديس هذه اللّغة؟ وما تقدّم اللّغة العربية في عصر التقنية أمام اللغات الحيّةّ؟

إنّنا في موقف يحسد عليه، ومن هنا لسنا في حاجة غلى العزف على عالمية وحضارة اللّغة العربية ودورها في المعرفة الإنسانية، ذلك شيء لا يمكن نكرانه، ولكنا الآن في حاجة إلى كيفية إبراز الدور الجديد لهذه اللّغة في هذا الوقت، وكيفية تفعيلها خارج أوطانها لأنّ اللّغة العربية إذا أريد لها البقاء والتفعيل في هذا المحيط وتبقى العربية بلا مصداقية إذا استمر تراجع اللغات الإسلامية والإفريقية والعالمية عن توظيف الحرف العربي في كتابة لغاتها وإنّ ترسيخها وتطويرها هو ترسيخ للهوية الحضارية لهذه الأمة لتصبح حضارة حية تمتلك مقوّمات التطوّر والإبداع، بل والريادة بدل التبعية وإنّ عصرنا عصر المعرفة في أسمى تجلياته, أصبحت فيه المعرفة ضرورة وجود ومعياراً لتحقيق الذات، وبالمعرفة يتطوّر المجتمع وينتفي التخلّف وينهض الاقتصاد ويكون التغيير نحو الأفضل، وبها كذلك تتفجّر الطاقات ويأخذ الفكر مكانه باحثاً أبعاد الحياة الكونية ذات الطابع الشمولي المحدّد لمسارات تحقيق النفلة النوعية، وهذا لا يحصل خارج اللّغة التي تحمل أناط التغيير ومحدّدات الأبعاد العلمية النوعية فهل هي كذلك اللّغة العربية؟

إنّها إشكالية عصرية لابدّ من التركيز عليها قبل كل شيء، وهي أول بادرة يجب ولجها وعلاجها بمنطق قوة العصر الذي لا يقرّ بالملموس منطق صعوبتها من حيث تعقّد القواعد وكثرة الجوازات والارتكاز على قياس الحاصر

المنارة للاستشارات

على الغائب، منطق اعتمادها على بعض الطرائق التقيلدية في التلقي، منطق المضايقات الكتابية أمام التقنية العصرية التي لا تقّر باللبس...الخ تلك صعوبات يجب أن تتدارك في هذا الوقت، والأحرى مراجعة بعض المسلمات أو الطابوهات، ويصاحب هذا الترخيص لبعض المستعمل في اللّغة، وترقية الكلام الدارج القريب من الفصيح والمشترك بين العرب وبهذا يمكن للغة العربية امتلاك سلاح المعلومات للصدّ أو الوقوف في وجه هذه المضايقات والتغيّرات والثقافات والعودة إلى ماضيها أكثر قوة ورسوخاً لمفهوم العصر بامتلاك آليات العلم والعصرنة.

2 . العولمة والهيمنة اللغوية:

إنّ قيام النظام العالمي الجديد حمل ما يدعو إلى ظهور العولمة، ولقد تولّت أمريكا التنظير لهذا المصطلح (الخطاب الأمريكي للعولمة) ولذلك تعني العولمة الكوكبية بوصفها فضاء تعميم التبادلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على نطاق الكرة الأرضية، وفي هذا الفضاء تتحرّك الأشياء والأفكار والأشخاص بصورة لا سابق لها من السهولة والديمومة والشمولية وفيها تتجاوز الثقافات والحضارات وتتحاور في حركة دائبة من التأثير والتأثر السريع وهذا الحراك الجماعي لا يبقى فيه إلا الصالح والأماكن، أمام السرعة المذهلة التي تعرفها الأقمار الصناعية التي تسبح في سمائنا وهي مدرة للإنتاج المعلوماتي، وباعتماد الاختيارات الحديثة من تكنولوجية الرقمية، خطوط الاتصال العريضة، والألياف البصرية ككل هذا يعمل على إشاعة نمط جديد من الفكر والعيش والمصطلحات الجديدة ذات مفاهيم غير المفاهيم الأصلية التي تتّصل بحياة الأمة، وباستغلال الأفلام والمسلسلات والأغاني الأجنبية، وهي محملة بأنماط الحياة وأساليب التفكير والسلوك الغربي الأحادي والمفروض رغماً أو حباً وهذا

المنارة للاستشارات

ضمن مصادرة الضمائر ومناهج التفكير وطرائق العيش لكل من هو خارج الفكر الغربي، بغية وضعه في بوتقة الشمولية الواحدة التي تقرّ بالقوة وثقافة العنف تجاه الرأي المخالف، ولا بقاء فيها إلا من يتنزّل منزلة الندية ولقد رأينا فعل العولمة ظاهراً في تفكير شبابنا الذي أصبح فيه يراجع ذاته، ويمكن أن نستعرض بعض الحقائق الماثلة أمامنا:

1/2 . التراجع عن الهوية الوطنية: ما تزال فكرة من نكون، وما هويتنا تطرح في كثير من الأحيان، وما يزال بعض الشباب يتّهون أجدادنا على الخيار العربي الإسلامي وتقوم مجموعات الشباب المتهورين بالاستجابة لذلك الإيقاع، ويقعون في التبعية المغرقة في طمس الشخصية الوطنية، فيزدادون انفصالاً عن واقعهم، ويستعجم كل شيء عندهم ويقع الفصل بينهم وبين لغتهم وتراثهم وإنّ خطر مثل هذا الطرح يتمثل في كونه يفضي إلى فكرة نمطية ترفض التعددية والحوار بما يجعلها لا تختلف عن الأصولية المتطرفة.

2/2 . التاريخ في المزبلة: شعار طرح مع أحداث الجامعة في عام 1980، على أساس تزييف التاريخ، الذي اعتمدته القيادة السياسية وترتكز عليه من أجل البقاء في السلطة، على أساس الشرعية الثورية ولقد صاحب هذا إعادة النظر في ألوان العلم الوطني وفي النشيد الوطني، وفي يوم العلم وهنا كان سبب انزلاق المنظومة التربوية التي لم تعتمد التاريخ الحديث ولم تركز على البطولات الوطنية وغرس التاريخ الفعلي الذي كان سبب الانعتاق من المستعمر.

3/2 التشكيك في اللّغة العربية: تطرح جملة من الشكوك في هذه النقطة على اعتبار أنّ هذه اللّغة غير صالحة علمياً، وهن التي أقصت التراث اللغوي للغة الأمازيغية، وحلّت محلّها ويدخل هذا في باب الحملات العدائية على حركة

المنارة للاستشارات

التعريب، الذي يجد معارضة كبيرة، وتنال الفرنسية المساحة الكبرى التي لم تعرفها خلال الثورة التحريرية، وفي الستينيات وهذا كلّه بسبب عدم تعريب الفكر أولاً ثم اللّغة كما قال المرحوم مولود قاسم في أحد ملتقيات تعميم استعمال اللّغة العربية في الإدارة الجزائرية وكان يجب أن نعلم أنّه لا ثقافة لأمة إلا بلغتها.

4/2 مصادرة كل إنتاج وطني مهما كانت جودته: نظراً لقلة الإنتاج الوطني، والذي بدأ بسيطاً، عير متقن، كان من الضروري أن تشوبه النقائص، وأمام ذلك لا يجد الإنتاج الوطني أي تشجيع من قبلنا فأصبحنا نرفضه بدعوى الرداءة، ودون المستوى المطلوب وننحني أمام كل منتوج حامل للرامبو ولاكوست، وكل ما يأتي من وراء البحر.

5/2 قبول ما يأتي من الغرب دون مناقشة: أصبحنا في هذا الوقت أسيري الإنتاج الغربي الذي يدره علينا الباربول، ونتقبّله على عواهنه رغم بعده عن هويتنا وتاريخنا، بدعوى أنّه إنساني وعلمي، فنهار أمام ثقافة الديسكو وعرايا M6...الخ.

وأمام هذا التراجع والتشكيك فإنّه لا يمكن أن نعارض التجديد، فهو أمر حاصل منذ العصور الأولى، ولكنّه كان يجب أن يكون التجديد من داخل المنظومة التربوية أولاً ثمّ من جانب الثقافة والأدب، أي: يحصل التطّور من الداخل، ولا يستجلب غريباً عن ذلك الروح من الأباعد، إلا إذا كان يخدم الفكر أو اللّغة العربية ويرقيها وأركز في هذه النقطة على تفعيل المنظومة التربوية التي هي أسّ العملية العلمية الجيّدة : إذا أحسن توجيهها الوجهة الروحية أ,لاً، ثمّ وجهة الأصالة والتحديث وإنّ كل الأمم تركز على المضمون الذي تحمله منظوماتها التربوية، فين التي تعمل على التغيير في سلوك الطفل الذي يجب

المنارة للاستشارات

أن يتماشى فكره مع الأليفة الثالثة التي يحصل فيها تغيير جديد في أسلوب التفكير والعمل، وشعارها: منظومة أصيلة عصرية متفتحة.

ومع كل ذلك أرى أنّه لا مبرر من التخوّف الذي يشعر به البعض تجاه العولمة عامة واللغوية خاصة، إذا أخذنا نمطاً جديداً للتفعيل في هذا التغيّر الجديد، وأخذنا منطق اللّغة على أنّها أداة تعبير وتفكير وهوية وإنتاج؛ لأنّ العولمة تحتاج إلى إبداع، وإلى تفعيل المؤسسات الإنتاجية والثقافية، ونحن نتوفر عليها، وإلى رؤوس أموال تعمل لصالح المدّ الإعلامية النشيط والصناعية الدائم، ونحن نملك المال ويمكن التخوّف من هذا النمط الجديد إذا لم يكن لنا تفعيل داخل هذه القرية التي لا تعترف بالحدود، أو لم يكن لنا التحكّم في الهوية وإذا حصل التقاعس من طرف، فسيكون منهزماً لا شكّ، وهنا مكمن الخطر، بل يحصل الصدام الذي يؤدي إلى الإلغاء ولا يلغى إلا للمتقاعس والمتخاذل، وهذا من طبيعة الأمور التي حصلت قديماً بشكل، وتحصل الآن بشكل ومن هنا كان علينا أخذ العدّة للتفعيل في هذه الكوكبية التي نحن جزء منها، بل إنّنا طرف شريك وهكذا العولمة وإن كانت توحّد العالم حضارياً بفعل التقنيات الحديدة، فإنّها لا وحّده ثقافياً، وإنّ الثقافة التي تحمل المضمون الديني الصلب سيبقى لها خصوصيتها ورموزها وتخيّلاتها التي تنفرد بها الأخرى الحضور الفعلي، وإنّما هن وقائع وإنجازات وإمكانات موضوعة برسم البشر أجمعين[2]ومن كل ذلك نعلم أنّ الخصائص المحلية لا تذّوبها العولمة ولا تنتقص من قيمتها أو تضعف قدرتها على أداء دورها إن كانت في مستوى العطاء لا التبعية من هذا المنطلق نقول: لا عالمية بغير خصوصية، وإنّ الثقافة لا تنطلق إلى آفاق العالمية إلا وهي محمولة على أجنحة من

[2]-علي حرب، حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية بيروت:200.

المنارة للاستشارات

الخصوصية والمحلية ولكنّنا في هذا المقام هل حافظنا على هويتنا؟ أي موقع لنا في الخيمة المعلوماتية؟ وهل أقمنا صناعة معلوماتية متطوّرة تبقي على خصوصياتنا؟ أسئلة تحتاج إلى إجابات راهنة من موقع فرض وجود من خلال اللّغة التي يشعر الإنسان بثقافته وانتمائه لأمته وإنّ العولمة تفرض علينا أولاً أن نتعلّم ونتقن أداء لغتنا في المقام الأول، ثمّ نفهم غيرها من اللغات إتقاناً، وهذا ما تفرضه حتميات التواصل مع الآخر وتقبّل الآخر في ثقافته.

3 . لقد جاءت الحداثة تلبية لحاجة العربي المعاصر، فهي نتاج عقلية جديدة وتعني الرؤية الجديدة والخروج من النمطية وخلق المغاير ولقد كان التجديد مظهراً من مظاهرها، والتي تعني الأصالة فالحداثي يحمل في بذرة تكوّنه شيئاً من الأصالة وهكذا نرى أن حداثتنا لا تُقبل إذا كانت مقطوعة من أصالتنا، ولا تُقبل إذا كانت صورة مطاقة لحداثة غيرنا.

ومن هنا تكون الحداثة في نظرنا هي الجديد والتغيير والتّطور واستعمال منهج غير معروف وابتكار متقدم وأفضلية اللاحق على السابق في إطار التواصل وإنّ اللّغة العربية منذ طهور الأبحاث يجري فيها العدول، فهي تتطّور في أساليبها عن طريق: التوسّع /الزمن /الربط/ طلب الخفة فكان لاستحداث الألفاظ قواعد من الشقياس والذوق اللغوي والإلف في السمع وما يتّصل بكل ذلك من مثل القدرة على الشيوع والإفهام في كل زمان كما حصل خرق للقواعد وخروج عن المألوف، أو احتيال من المبدع على اللّغة لتقول شيئاً غير عادي في كل وقت فبات الشعر يهدم لغة ليعيد بناءها وفق المحتمل، وأصبح يبحث في قاموسه عن الأدلة المتنافرة ليؤلف بين تناقضاتها استعارة جميلة قائمة على الانزياح.

المنارة للاستشارات

لقد أنجز النقاد الحداثة تنظيراً، وذهبوا يدرسون الأشكال القديمة ذات الأبنية المستهلكة مما يقتضي تعاملاً صورياً جديداً، فكان "النقد المعاصر بأنساقه المختلفة قد أنتج معرفة نقدية بالحداثة الشعرية، ولا يمكن التقليل من أهميتها بحال من الأحوال، كما لا يمكن تجاوزها في أي مقاربة نقدية ممكنة فعلى الرغم من أنّ ثمة إشكاليات في فهم هذا النقد للحداثة، إلا أنّ ذلك لا يؤدي إلى القول: إنّ هذا النقد قاصر عن وعي ظاهرة الحداثة الشعرية[3]كما كان الشعر يعمل على إيجاد الصيغة التطبيقية الجديدة، وهو ما أنجز عنه الشعر الحر، فراح هذا الأخير يدعو إلى ضرورة الفرد والتميّز من خلال النصوص الحداثية التي تطرح رؤاها الكلية في قالب جديد وأمام كل هذا نقول: إنّه كانت لنا قابلية التعبير وقراءة النصوص على ضوء المتغيرات العصرية فهل واصلنا هذه المسيرة؟

يجب أن نعلم أنّ العولمة تقول: انهضوا أيها النيام واستحدثوا أنفسكم فهل استجبنا نحن العرب لهذا النداء؟ أقول من موقع السيطرة العلمية الخاصة بتقنيات الإعلام على المستوى الكوني: إنّنا نعيش عصر الإعلام بمباهجه التي تثير فينا السخرية، ونعيش عصر التلفاز الذي يمارس فينا حالة من غياب وعينا العام، في الوقت الذي تعيش نخبنا أسيرة العولمة وننسى من نحن، وماذا قدّمنا من أجل النهوض والحداثة إنّ الحداثة التي أثارها Landon في أمريكا لدراسة ما يسمى بالنص الشامل أو النص الإلكتروني Hypertext وما كتبه Rolaand Bathes الذي يقول في أحد مقالاته "اللّغة الشعرية هي اللّغة المغسولة من صدا الاستخدام الشائع الجاري إنّها نوع من العودة إلى البراءة الأولى في الكلمات وفي العودة إلى براءة الكلمة عودة إلى إيقاعها البدئي،

[3]-وعي الحداثة (دراسات جمالية في الحداثة الشعرية"، ص 21

المنارة للاستشارات

أعني إلى شكل تعييري مشحون بهذه البراءة"[4] وما قاله وجاك دريدا في النص المفتوح وانتشار المعنى بلا حدود، ودور القارئ في إنتاج النص[5] كلها أشياء مستوردة نقرأ عنها ونحاول محاكاتها ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل لم نستطع استيعاب ما تنطوي عليه الحداثة من المنظومة الواسعة النطاق، ذات المفاهيم المتعلقة بالعلاقات الجديدة التي تشكل في مجموعها نمطاً مغايراً لنمط كان قد ساد، ولم نستطيع مجاراة التغيير الذي كان يجب أن يمسّ النصّ مهما كان نوعه وهل حاول مثقفونا أن يطلوا علينا بدراسات نوعية تمصّ النصّ المفتوح الذي يخترق الحواجز، ومن حاول ذلك تصادر أفكاره، وتمنع كتبه إن لم يهجّر من بلده فأين نحن من الانتقال من نصّ الحداثة؟ غلى ما بعد الحداثة، وأين نحن من تنقيح النصوص على الأسئلة الجديدة، والتي لا يمكن إخضاعها لنهايات مفتعلة؟ وأين نحن في هذه الألفية التي أرثي فيها نفسي كمثقف عربي، وما بقي لنا إلا أن نشيّع بعضنا البعض؟ ولكن هل يمكننا أن نغيّر ونعيش مع الفاعلين؟ هل يكن لهذه اللّغة أن تصبح حداثية؟ أقول يمكن ذلك إذا استطعنا امتلاك التكنولوجيا أولاً، لأن امتلاكها هو باب الدخول إلى عالم النص والإسهام المتجدد في إنتاجه، أضف إلى ذلك العمل على:

1 . قراءة جديدة للتراث الفكري العربي بناءً على معطيات الابتكار والتطوّر التقني.

2 . ضمان حرية التعبير، وعدم مصادرة الآراء مهما كانت مخالفة.

3 . العمل بلغتنا العربية أولاً وفي ذاتها، ومن خلال مناهجها، ولا مانع من اعتماد اللغات الأخرى فهي ضرورية.

---

[4]- le degré zéro de l’écriture. Paris 1972 ed du seil ,p16:

[5]- عز الذين إسماعيل "العولمة وأزمة المصطلح" مجلة العربية الكويت 2000 المجلس الأعلى للثقافة والفنون، العدد498 ص 165.

المنارة للاستشارات

4 . دخول المنافسة العلمية والإعلامية مهما كانت العواقب والنتائج، والتفعيل داخل المنظومة الاجتماعية للكون، على أنّ العولمة لا تنتظر أحداً.

5 . امتلاك التقنيات للأخذ والعطاء.

6 . التفعيل داخل شبكة الإنترنيت، وأخذ المواقع النشطة المتجدّدة والجديدة.

4 . أي موقع للغة العربية في هذه العولمة؟

إنّ العوثقافية" جزء من العولمة ككل، ومن هنا فإنها تعني: تعميم ثقافة واحدة وسيادتها وهيمنتها على غيرها من الثقافات بمضمون تلك الثقافة ومحتواها من أساليب تفكير وأنماط السلوك والمعاملة والنظرة للمستقبل وهي في معناها العام امتداد العولمة الاقتصادية وتوسّع فيها، ولا تكاد تختلف عنها إلا في طبيعة ميادينها، فبدلاً سوى ذلك، تتّفق مع العولمة الاقتصادية في التفرّد والسيطرة فهي تعني تعميم ثقافة واحدة وسادتها وهيمنتها على غيرها من الثقافات ومحاولة إحلال هذه الثقافة الواحدة محل الثقافات الأخرى بمضمون تلك الثقافة ومحتواها من: أسليب التفكير والتعبير والتذوق الفني، وأنماط السلوك والتعامل والنظرة غلى الحياة والكون[6] وتعتمد اللّغة في هذا المجال على اعتبار أنّ اللّغة هي ما يعبر عن كينونة الإنسان، ولهذا حاول المستعمرون . حيثما حلوا في البلاد العربية . على اجتثاث اللّغة العربية وإحلال لغاتهم محلّها لغاتهم محلّها وإن لم يفلح هذا المسعى دعوا إلى العمل باللهجات على أساس أنّها اللّغة الوظيفية، لأنّهم أدركوا أنّ في اللّغة العربية عبقرية لا تماثلها عبقرية لغاتهم الأصل، وأنّها تستجيب لمطالب العصر دون إشكال، إلى جانب القرآن الكريم الذي زاد من عبقريتها وهكذا تحارب الآن من خلال ما يلصق عليها من

[6]-ناصر الدين الأسد "الثقافة العربية بين العولمة والعالمية" مجلة الأكاديمية الملكية المغربية: الرباط1999

المنارة للاستشارات

نعوت، ومن هذا الباب نجد التعريب في الوطن العربية يلاقي صعوبات عديدة لأنه متعلّق بجوهر الهوية الثقافية لنا في هذا العصر.

صحيح إنّ العولمة نعيشها يومياً، وفي الحقيقة نتعامل بلغة العولمة، ونلبس لباس العولمة ونأكل أكل العولمة، ونبزنس بالعولمة، وليس في استطاعتنا أن نرفض لغة من اللغات، لأنّ الأجهزة العصرية وفرت لنا كلم ما يمكن أن يعمل في هذا المجال نعم إنّ العولمة قدر علينا وسبيلنا هو التفعيل داخلها، والعمل على التنّوع الثقافي في إطارها والتعامل معها من موقف الثقة بالنفس "ومجبر علينا أن نتعايش في ركاب المجموعة الدولية وفي هذه القرية الكونية ولكن كل هذا لا يمنعنا من الصلاة، ولا تهدّد طريقنا نحو أداء مناسك الحج"[7]وهنا لا تكون لنا هويّة إلا إذا توافرت بدلها خصائص الوحدة والثبات والمغيرة، وهذا ما يجب أن يتوفّر في التنّوع اللغوي، وليس ضرورياً أن نذوب ونقضي على ثوابت هويّتنا، لأنّ العولمة لا تتناقض مع الديمقراطية وإندونيسيا وتايوان) التي فرضت عليها العولمة أنماطاً من السلوك، لكنّها تعاملت للهويّة.[8] ولنكن مثل الدول الآسيوية (اليابان وكوريا وإندونيسيا وتايوان) التي فرضت عليها العولمة أنماطاً من السلوك، لكنّها تعاملت بثقة فاعلة فأبدعت في إطارها وما هدرت هويّتها، رغم أنّ مفهوم العولمة لا وجود للهويّة[9].

---

[7]- عبد الهادي التازي "هل في استطاعة العولمة أن تهدر الهوية" مجلة الأكاديمية الملكية الرباط 1997 عدد (العولمة والهوية) ص 67

[8]- ناصر الدين الأسد "العولمة والهوية" مجلة الأكاديمية الملكية المغربية الرباط 1997، عدد (العولمة والهوية ص 58.

[9]- ينظر في هذا المجال الكتاب القيّم: لماذا احترقت "النمور" الآسيوية وهو موضوع الندوة العلمية التي أقامتها الأكاديمية الملكية المغربية في فاس أيام: 4 -6 مايو 1998 بعد الأزمة المالية التي عصفت ببعض البلدان العملاقة في آسيا، جرّاء عولمة الاقتصاد والمصالح ووسائل الاتصال وارتباط البورصات، كل ذلك ينذر بأنّ أي شيء يحصل في منطقة معيّنة ستكون له عواقب تمسّ جهات أخرى في العالم، بل تمسّ الأفراد أنفسهم لأنّ الأضرار التي تقع على الناس من جرّاء البطالة، وانخفاض الدخل النقدي والقوة الشرائية وقيمة العملة المتعامل بها، قد تكون وخيمة كما عرض هذا الكتاب بشكل حيّد كيفيات تمسّك الآسيويين بالهوية المحلية في إطار العولمة والأزمات المادية ونتائجها مطبوعات أكاديمية الملكة المغربية سلسلة "الدورات" الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1998.

المنارة للاستشارات

وهكذا فإنّ العولمة اللغوية ليس آتية، إن لم أقل إنّنا نعيشها الآن فلا و وجود للثقافات العازلة، فهي نوع من المدنية العصرية التي لا يمكننا إلا التفعيل في ذاتها، و"إنّ المدنية هي وضعية يحقّق فيها الناس المطابقة بين هويتهم وبين متطلبات معايشة عصرهم بما تفرضه من قيم ومفاهيم وأنشطة، أي: أنّ ثقافتهم تكون منجبة وعملية ومنفتحة وحين يعجز الناس عن الدخول في طور التمدّن فإنّهم يجدون أنفسهم على طريق خسران إما عن طريق التهميش بسبب عدم مشاركتهم في الحضارة، وإما عن طريق الاندماج في حضارة لم يدخلوها إلا من باب الاستهلاك فاستهلكتهم[10]وهكذا فإنّ الوضع الحالي يستدعي مشاركة العالم في بعض الخصائص، والتفرّد عنه في بعضها الآخر، ولا يمكن البعد عن الحوار والتقارب وأخذ الأفكار من الغير وإن كان لا يجاريك في الرأي وهذا هو النمط الجديد للعولمة الثقافية التي لا تقف أمامها الطابوهات ومن خلال ذلك "نستطيع في ضوء ما تقدّم أن ندرك مدى حاجة الإنسانية إلى وجود معرفة علمية قائمة على تصوّر كوني للعالم يمكنها من ارتياد آفاق رحبة ودفع مخاطر وتوفيره ضوابط وتّضح في ضوء ما تقدم أنّ الإسلام قادر على تلبية هذه الحاجة بما يوفره من رؤية مؤمنة للكون والحياة والإنسان ومن هنا تبرز مسؤولية المسلمين في الدعوة لهذه الرؤية المؤمنة[11]ولكن أية دعوة أمام الضعف المستشري فينا والانهيار النفسي، أضف إلى ذلك عدم الاهتمام بقيمنا الحضارية، وبعدم تجديد أنماط السلوك الحضاري والاجتماعي في إطار من العالمية والخصوصية تلكم هي أنماطنا التي يجب تحسينها والتفعيل ضمنها قبل أن نقع فريسة هذه العولمة اللغوية.

---

[10]- عبد الكريم بكار "حضارة أ مدنية" مجلة المعرفة دمشق 1999، العدد 52، ص 66

[11]-أحمد صدقي الدجاني "الإسلام والعلوم وكونية المعرفة العلمية"، مجلة الأكاديمية الملكية المغربية الرباطّ 1999، العدد 16، ص 146.

المنارة للاستشارات

وإنّ مسألة العولمة اللغوية، كان يجب أن نطرح السؤال الآتي: ما موقع تعدّد اللغات ضمن العولمة العاملة على فرض لغة واحدة؟ أو بمعنى آخر: كيف نعمل على إثبات هويتنا في إطار العولمة؟ وكيف نعمل على تصدير هذه اللّغة أمام هذه العولمة؟ .

إنّ العولمة أحد التحديات التي بدأت تواجه كثيراً من الدول الضعيفة، بل حتى القوية منها فلقد أنشأت فرنسا مؤسسات فرانكفونية ووزارة الفرانكفونية لحماية نفسها من التبعية الأمريكية في إطار العولمة اللغوية التي تفرض النمط الأمريكي، وهي تعرض دائماً هذه المسألة وتعتبرها إمبريالية ثقافية أمريكية، ولقد سبق للرئيس ميتران قال: من ذا الذي يستطيع أن يتعامى اليوم عن التهديد الذي يواجهه العلم الذي تغزوه بالتدريج ثقافة واحدة؛ ثقافة أنجلوسكسونية تتحرّك تحت غطاء الليبرالية الاقتصادية؟ كما سبق لفرنسا أن رفضت التوقيع على الجزء الخاص بالسلع والمواد الثقافية في اتفاقيات الكاط GATT وتشمل السينما والتلفاز والفيديو وما يلحق هذا من وسائل التثقيف الأخرى في الوقت الذي نعرف أنّ خط الإنترنيت تسيطر عليه اللّغة الإنجليزية بنسبة 88 % واللّغة الألمانية تملك فيه 9% والفرنسية 2% ويتوزّع 1% على اللغات العربية[12]على موقعية اللّغة العربية باعتبارها لغة رسمية في كل البلاد العربية، ثم لغة عمل في الأمم المتحدة، وفي وكالاتها المتخصصة، ويترجم منها وغليها بالترجمة الفورية في الاجتماعات العالمية، وكان الأخرى أن يكون لها وجود وحضور مكثف في هذه الشبكة ولكن ذلك لم يحصل، فأين الخلل؟

[12]- صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللغة العربية قسنطينة 2000 مشورات جامعة قسنطينة، ص 302.

المنارة للاستشارات

وأمام هذه الإشكاليات الحيّة كان يجب معالجة بعض الأمور المتعلقة بالعربية قبل كل شيء لدخول في العولمة الثقافية التي تعطي كما تأخذ وتكون مواطن المعالجة فيما يلي:

1. معالجة قواعدها النحوية بالتركيز على المستعمل منها.

2 . معالجة خطّها الذي تكتب به.

3 . معالجة طرائق تلقينها لأهلها ولغير الناطقين بها.

4 . معالجتها علاجا آلياً بحيث تكون في مستوى اللغات الأخرى الحاملة للرصيد المعرفي من خلال المعلوميات وشبكات الاتصال والترجمة الآلية ووجود المنطاقيات.

5 . تفعيل مؤسساتها العلمية، و الرجوع إليها للإفتاء اللغوي حسب المستجدات العصرية مع توحيد الجهود العلمية، لهذه المؤسسات.

6 . الفصل بين السياسة التي تنتهجا دولها والمتطلّبات العليمة الحضارية لهذه الأمة في معركة السباق التقني على المستوى العالمي.

7 . الإنفاق وتوحيد الطاقات البشرية والمادية، وهذا مطلوب من الحكومات العربية وكان عليها أن تعمل على توحيد طاقاتها المادية وعقول أبنائها في الجانب الثقافي والعلمي علن طريق المنظومات التربوية لتحصل التقديس للغة العربية ولتكن العبرة من اليهود الذين لم يتخلوا عن لغتهم، وبقوا متمسكين بها أمام الزخم الكبير لما تفيض به اللغات الحية، لأنّهم يدركون سرّ الهوية الثقافية، ومن اليابانيين أو الصينيين أو الكوريين، لأنّهم واعون بأنّ الثقافة تعني ممّا تعني وحدة الفكر والذات والهوية ومن وراء كل هذا يجب أن نفهم ونعي حيّدا أنّنا في وضع عالمي جديد، لابدّ من التفعيل داخله، ولابّد من إتقان اللّغة الوطنية أولاً والتحكّم في أكثر من لغة أجنبية للاستفادة منها في

المنارة للاستشارات

الترجمة ومن خلال هذا أدعو إلى تأسيس لجنة من لغة للترجمة، ولد سئل طه حسين ذات مرة: كيف يمكن أن تفعل اللّغة العربية، فأجاب: ترجموا وترجموا همّ ترجموا أعود لأقول: إنّ العولمة اللغوية أو الثقافية ليس آتية، بل نعيشها فما دورنا للتفعيل ضمنها، وما دور لغتنا العربية للبقاء والتأثير؟ وهل الثقافة العربية تستطيع أن تحقّق العلمية في عصرنا هذا؟ وهل اللّغة العربية ليست عائقاً أمام عالمية الثقافة التي تكتب بها؟ تلك أسئلة مفتوحة أتركها للقرّاء علّهم يجيبون عن هذه الإرهاصات التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتعمّق في عصر العولمة اللغوية، وفي الألفية الثالثة.

المنارة للاستشارات